العدد 1901 - السنة السابعة
الثلاثاء 3 رمضان 1436 - الموافق 1 يوليو 2014
Tuesday 1 July 2014 - No.1901 - 7th Year

في ذكرى وفاته 3 رمضان 65هـ

مروان بن الحكم والخروج من عباءة السفيانيين

لم يكن يدور بخلد المروانيين من بني أمية، وهم يغادرون المدينة مقهورين بعد أن أوصدت جميع الأبواب في وجوههم، أنهم على قيد خطوات قليلة من المجد والملك، وأنهم يسيرون نحو بناء إمبراطورية عظيمة وتشييد عرش من الأمجاد المتواصلة والشرف الرفيع.

فقد كانت المدينة معقلا لعدد من معارضي حكم بني أمية، وقد التف حولهم عدد كبير من الأنصار والموالين، ولم تفلح محاولات «مروان بن الحكم» - عامل «معاوية بن أبي سفيان» على المدينة - لدفعهم إلى البيعة ليزيد بن معاوية حينما أراد معاوية أن يأخذ البيعة لابنه من أهل الحجاز، فقد ثار هؤلاء المعارضون، وعلى رأسهم «الحسين بن علي» و«عبدالله بن الزبير» و«عبدالله بن عمر» و«عبدالله بن العباس» و«عبدالله بن أبي بكر»، وعارضوا هذا الأمر بشدة، فكتب مروان إلى «معاوية» بذلك، فقدم معاوية إلى المدينة، وحاول إقناعهم، ولكنهم أبوا، فما كان منه إزاء عنادهم وإصرارهم إلا أن توعدهم بالقتل، وأخذ منهم البيعة لابنه بالسيف على رؤوس الأشهاد.

الحكم بعد معاوية

وبعد وفاة معاوية اعتلى يزيد عرش الخلافة، وامتنع عن بيعته الحسين بن علي وعبدالله بن الزبير، واجتمع زعماء الشيعة لمبايعة الحسين، وأرسلوا إليه يحثونه على الخروج إليهم في «الكوفة» ووعدوه بالنصرة والتأييد، والقتال معه حتى تصير إليه مقاليد الخلافة، ولكن رجال يزيد بن معاوية استطاعوا أن يرصدوا تحركات الحسين، واستعدوا لإحباط محاولته الوصول إلى الكوفة، وأسفر الأمر في النهاية عن معركة «كربلاء» الشهيرة التي قتل فيها الحسين، وحُملت رأسه إلى يزيد في دمشق.

أما عبدالله بن الزبير الذي لم يجرؤ على الجهر بطلب الخلافة في حياة الحسين، لأنه كان يرى أحقيته بها، فقد وجد - بعد مقتل الحسين - أنه أحق بالخلافة، خاصة بعدما اجتمع حوله عدد كبير من أصحابه وبايعوه بالخلافة، وإن كان ذلك قد تم بصورة سرية.

وطارت الأخبار إلى يزيد بما فعله ابن الزبير، فصمم على الانتقام منه، وازداد الأمر تعقيدًا بعد أن ثار أهل المدينة أيضا، وخلعوا يزيد بتحريض من ابن الزبير وطردوا عامله، ونادوا بخليفة ثالث هو «عبدالله بن حنظلة بن أبي عامر»، ولم يجد يزيد إزاء كل هذه الأحداث والانقسامات بدًا من الحرب، فأرسل جيشا إلى المدينة فاستباحها ثلاثة أيام، أسرف خلالها في القتل والسلب والنهب، ثم اتجه بعد ذلك إلى مكة فحاصرها في أوائل سنة (64هـ= 683 م)، وكان ذلك أول حصار لمكة في تاريخ الإسلام.

إحراق الكعبة

كان عبدالله بن الزبير يظن أن حرمة مكة ستمنع قوات يزيد من اقتحامها وتخريبها كما فعلت في المدينة، ولكنه كان واهمًا فيما ذهب إليه، فقد صوب المهاجمون المجانيق نحو الكعبة، وضربوا بيت الله الحرام بعنف، حتى تهدمت الكعبة واحترقت في «3 من ربيع الأول 64 هـ= 30 من أكتوبر 683م».

واقتحم المهاجمون مكة ودار قتال شرس بين الفريقين، وفي تلك الأثناء جاء الخبر بوفاة يزيد، فكف المهاجمون أيديهم عن القتال، والتقط المدافعون أنفاسهم.

وأرسل الحصين بن نمير الكوفي قائد جيش يزيد إلى ابن الزبير يطلب وقف القتال، ويدعوه إلى الذهاب معه إلى الشام ليأخذ له البيعة من أهلها بعد أن بايع له أهل الحجاز (مكة والمدينة)، وأهل العراق (الكوفة والبصرة)، وأهل مصر، واليمن، وخراسان، ولم يبق إلا أهل الشام.

ولكن ابن الزبير رفض، وأراد أن يجعل مركز خلافته في الحجاز، فعاد الحصين بجيشه إلى الشام، وبذلك انتقلت الخلافة إلى معاوية بن يزيد الذي لم يتجاوز عمره الثمانية عشر عامًا، ولكنه كان مريضا ضعيفًا، يغلب عليه الزهد في الدنيا والتفكر في الآخرة، فشعر أنه لا يستطيع القيام بأعباء الخلافة، فتنازل عنها، وما لبث أن توفي بعد ذلك بأيام قليلة.

مروان بالحكم

فاز مروان بن الحكم بن العاص إلى السلطة على إثر اجتماع تاريخي لكبار بني أمية وأعيانهم، عقد في «الجابية» في «3 من ذي القعدة 64 هـ= 22 من يونيو 684م» قرروا فيه البيعة لمروان بن الحكم، وكان شيخا كبيرًا قد تجاوز الستين، يتمتع بقسط وافر من الحكمة والذكاء وسداد الرأي، وكان شجاعًا فصيحًا يجيد قراءة القرآن، ويروي كثيرًا من الحديث عن كبار الصحابة، وبخاصة «عمر بن الخطاب»، ويعد هو رأس «بني أمية» بالشام.

ووضع المجتمعون اتفاقًا تاريخيًا لتجنب أسباب الفتنة والشقاق، واشترطوا أن تكون ولاية الحكم لـ خالد بن يزيد من بعد مروان، ثم عمرو بن سعيد بن العاص، وكان مروان قد سطع نجمه في عهد ابن عمه الخليفة عثمان بن عفان الذي قربه إليه، وجعله مساعدًا ومشيرًا له، وكان كاتبه ومديره، فلما قتل عثمان كان مروان أول من طالب بدمه، ثم بايع عليا بن أبي طالب، فلما حدثت واقعة الجمل اعتزل الحياة السياسية، فلما آلت الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان ولاه على المدينة، وكان أقوى المرشحين لاعتلاء عرش بني أمية بعد وفاة معاوية بن يزيد (معاوية الثاني)، ومن العجيب أن مروان وأسرته كانوا قد قضوا حياتهم كلها في الحجاز، ولم ينتقلوا إلى الشام إلا في نهاية «ربيع الآخر 64 هـ= ديسمبر 683م»، أي قبيل البيعة لمروان بستة أشهر فقط!!

انتقال الخلافة إلى المروانيين

وقد بذل مروان بن الحكم جهدًا كبيرًا لتثبيت دعائم ملكه، وقاد حروبًا عديدة للقضاء على أعدائه ومنافسيه.

وكان في مقدمة أعدائه الضحاك بن قيس الفهري الذي قاد قبيلة قيس لمبايعة ابن الزبير، فسار إليه مروان بجيش كبير فقتله، وهزم جيشه في مرج راهط في «المحرم 65 هـ= أغسطس 684م» بعد معركة تاريخية حاسمة، دامت نحو عشرين يومًا، أسفرت عن استقرار الأمر لمروان، ومهدت الطريق أمامه لتحقيق حلمه الكبير ويصبح نظام الحكم الوراثي الذي وضع لبنته الأولى معاوية بن أبي سفيان من نصيب الفرع المرواني وحده من بني أمية، بعد أن كان في الفرع السفياني.

إعادة مصر للأمويين

اتسمت سياسة مروان بالحسم والشدة التي تصل إلى حد العنف خاصة مع معارضيه، وقد أولى مروان الأمصار الأخرى قدرًا كبيرًا من اهتمامه وعنايته، فخرج إلى مصر بنفسه على رأس جيش، ومعه ابنه عبدالعزيز، واستطاع أن يهزم عبدالله بن مجدم الذي ولاه عبدالله بن الزبير عليها من قبله، وأخذ البيعة لنفسه من الناس، وقتل من أصر منهم على بيعته لابن الزبير.

وعاد بعد ذلك إلى الشام تاركا ابنه عبدالعزيز في مصر بعد أن ولاه عليها، وأصبحت مصر منذ ذلك العهد خاضعة لنفوذ الأمويين.

نهاية اليمة

وأرسل مروان بعد عودته إلى الشام حملتين، أولاهما إلى الحجاز لقتال عبدالله بن الزبير الذي دعا لنفسه بالخلافة، وقد هزمت تلك الحملة، أما الحملة الأخرى فسيرها للقضاء على الشيعة في الكوفة ولم تحقق شيئا يذكر.

وقرر مروان أن يجعل الخلافة لابنه عبدالملك من بعده بدلا من خالد بن يزيد، كما نصت اتفاقية «الجابية التاريخية»، فتزوج أم خالد (أرملة يزيد)، وأصبح دائم التحقير من شأن خالد، يكثر من سبه ويعيره بأمه، فلما أخبر خالد أمه بذلك نقمت على مروان الذي أسفر عن حقيقة نواياه باغتصاب الخلافة من ابنها، فتحينت الفرصة للانتقام منه، وفي إحدى الليالي، بينما كان مروان مستغرقا في نومه، وضعت أم خالد وسادة على وجهه، فلم ترفعها حتى مات.

وقيل بأنها سقته لبنًا دست فيه السم، كما قيل بأنها أغرت به جواريها فخنقوه، فلما علم ابنه عبدالملك بذلك أراد قتلها، ولكن قومه نصحوه ألا يفعل حتى لا يُعيّر بأن أباه قتلته امرأة.

عهد قصير وإنجازات عظيمة

كانت وفاة مروان في «3 من رمضان 65 هـ= 24 من نوفمبر 683م»، عن عمر بلغ نحو خمسة وستين عامًا، وهو لم يكمل العام الأول من خلافته، وبرغم ذلك فقد استطاع أن يؤسس دولة قوية للأمويين - وآل مروان خاصة - في الشام، وتعد خلافته هي البداية الحقيقية للعهد الثاني من الحكم الأموي، وقد تميز عهده - على قصره - بالعديد من الإصلاحات والإنجازات العسكرية والسياسية والاقتصادية.

فمن الناحية العسكرية استطاع أن ينتزع مصر من قبضة ابن الزبير، كما استطاع أن يحقق انتصارًا عسكريًا وسياسيًا آخر بانتصاره على الضحاك في موقعة مرج راهط، وقتله مع كثير من أعوانه في معركة حاسمة أصبح مروان بعدها هو الخليفة بلا منازع، كذلك استطاع مروان أن ينقل الخلافة من البيت السفياني إلى البيت المرواني في عملية سياسية، ربما تعد أول انقلاب سلمي في التاريخ الإسلامي.

كما عُني مروان بالإصلاح الاقتصادي، وإليه يرجع الفضل في ضبط المكاييل والأوزان، وهو ما ضبط عملية البيع والشراء حتى لا يقع فيها الغبن أو الغش.

وفاة السيدة فاطمة الزهراء.. والتحكيم بين علي ومعاوية

في الثالث من شهر رمضان في السنة الثانية للهجرة خرج رسول الله وآله و صحبه وسلم، من المدينة المنورة قاصدا موقع بدر حيث دارت المعركة الكبرى التي انتصر فيها جيش المسلمين بقيادة الرسول «عليه و آله و صحبه الصلاة والسلام» وصحبه على المشركين من قريش في السابع عشر من شهر رمضان المبارك.

وفي الثالث من شهر رمضان سنة إحدى عشرة للهجرة توفيت سيدة نساء العالمين ابنة رسول الله فاطمة رضي الله عنها وأرضاها، ودفنت بالبقيع ليلا.

قال ابن كثير: وبعده بستة أشهر على الأشهر توفيت ابنته فاطمة رضي الله عنها، وتكنى بأم أبيها، وقد كان -صلوات الله وسلامه عليه- عهد إليها أنها أول أهله لحوقا به، وقال لها مع ذلك: «أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة». وكانت أصغر بنات النبي على المشهور، ولم يبق بعده سواها، فلهذا عظم أجرها؛ لأنها أصيبت به.

وقد وردت كثير من الآثار التي تدل على حب النبي لها: فقد كان إذا قدم من غزو أو سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين، ثم يأتي فاطمة ثم يأتي أزواجه؛ ولهذا كان النبي يقول: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون»[2].

وقد تزوجها ابن عمها علي بن أبي طالب بعد الهجرة، وذلك بعد بدر بأربعة أشهر ونصف، وبنى بها بعد ذلك بسبعة أشهر ونصف، فأصدقها درعه الحطمية وقيمتها أربعمائة درهم. وكان عمرها إذ ذاك خمس عشرة سنة وخمسة أشهر، فولدت له حسنا وحسينا ومحسنا وأم كلثوم التي تزوج بها عمر بن الخطاب بعد ذلك.

وقد قال الإمام أحمد، عن عطاء بن السائب، عن أبيه، عن علي أن رسول الله لما زوّجه فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة من أدم حشوها ليف، ورحيين وسقاء وجرّتين.

ولما حضرتها الوفاة أوصت إلى أسماء بنت عميس امرأة أبي بكر الصديق، فغسّلتها هي وعلي بن أبي طالب وسلمى أم رافع. قيل: والعباس بن عبد المطلب، رضي الله عنهم أجمعين.

واختلف في مقدار سنها يومئذ فقيل سبع، وقيل ثمان، وقيل: تسع وعشرون. وهي أول من ستر سريرها عند حمل جنازتها، وكان الذي صلى عليها زوجها عليّ، وقيل: العباس، وقيل: أبو بكر الصديق.

التحكيم بين علي ومعاوية

في الثالث من شهر رمضان عام 37هـ الموافق 11 فبراير 658م عقد التحكيم بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما والذي حدث بعد موقعة الجمل وبين جند علي من ناحية، وبين بني أمية وعائشة وطلحة والزبير من ناحية أخرى في شهر شعبان عام 36هـ رضي الله عن الصحابة أجمعين.

فبعد ان تواقع الطرفان في معركة دامية في صفين، وبعد ان رفع جيش معاوية المصاحف تموقفت الحرب، وارتضى الطرفان أن يعودا الى التحكمة وتحكيم القرآن بينهما، وأناب كل واحد منهما شخصا ينيب عنه، ويتفاوض باسمه في القضايا محل الخلاف، فأناب «علي» أبا موسى الأشعري، وأناب «معاوية» عمرو بن العاص، وعقدت لذلك وثيقة كتبت في يوم الأربعاء الموافق 13 من صفر سنة 37هـ الموافق الاول من اغسطس 657م عُرفت بـ«وثيقة التحكيم».

وجعلت الوثيقة شهر رمضان من سنة 37هـ أقصى مدة لاعلان قرار التحكيم.

واختلف الطرفان في نتيجة التحكيم، وقد اقترن بالتحكيم ظهور الخوارج الذين رفعوا شعار لا حكم الا لله، واستياء معاوية على مصر.

وفاة مروان بن الحكم

في الثالث من شهر رمضان سنة 65 للهجرة توفي الخليفة الرابع من خلفاء بني أمية مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، الذي بويع له بالخلافة في الجابية من أطراف الشام في سنة أربع وستين للهجرة، بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية، واعلان عبدالله بن الزبير الامارة في الحجاز، وثورة القبائل القيسية بالشام بقيادة الضحاك بن قيس حتى كانت الوقعة بين الفريقين في مرج راهط بغوطة دمشق، فقتل الضحاك وانهزم من معه.

وكان له من الأولاد عبدالملك ومعاوية وعبيدالله وعبدالله وأبان وداود وعبدالعزيز وعبدالرحمن وبشر ومحمد وبنات.

وكان مروان، قبل توليه الخلافة، كاتبا لعثمان بن عفان أثناء خلافته، وولي امرة المدينة لمعاوية وموسم الحج.

توفي مروان بن الحكم بالطاعون في الثالث من شهر رمضان سنة 65هـ وعمره ثلاث وستون سنة، ودفن بقية دمشق، وكانت مدة خلافته سبعة أشهر وثمانية عشر يوما.

ولاية الحكم بن المستنصر

بالله الأموي في الأندلس

وفي الثالث من شهر رمضان من يوم الخميس ولي الخلافة في بلاد الأندلس الحكم بن عبدالرحمن المستنصر بالله، وعمره سبع وأربعون سنة، وكانت خلافته خمسة عشر سنة وخمسة أشهر

كان الحكم بن المستنصر، شغوفا بالعلوم حريصا على اقتناء دواوينها، يبعث بها الى الأقطار والبلدان، فتحمل اليه من كل جهة حتى غصت بها بيوته، وضاقت عنها خزائنه، وكان باحثا عن الأنساب مستجليا للعلماء ورواة الحديث من جميع الآفاق، يشاهد مجالس العلماء ويسمع منهم ويروي عنهم، ولم يسمع في الاسلام بخليفة بلغ مبلغ الحكم في اقتناء الكتب والدواوين وايثارها.

بعث الى أبي الفرج الأصفهاني القرشي المرواني صاحب كتاب الاغاني ألف دينار عينا ذهبا، وخاطبه يلتمس منه نسخة من كتابه الذي ألفه في الأغاني، فأرسل اليه من الأندلس نسخة منه حسنة منقحة، قبل أن يظهر الكتاب لأهل العراق أو ينتسخه أحد منهم، وألف له أيضا أنساب قومه بني أمية وأرسل به الى قرطبة.

وكان للحكم وراقون في اقطار البلاد ينتخبون له غرائب التواليف، ورجال يوجههم الى الآفاق، ومن وراقيه في بغداد محمد بن طرخان ومن أهل الشرق والأندلس جماعة.

وكان الحكم كثير التصحيح لكتبه والمطالعة لفوائدها، وقلما تجد له كتابا في خزانته الا وله فيه قراءة ونظر وتعليق من أي فن كان من فنون العلم، بقرأ ويكتب فيه بخطه، وكان موثوقا به مأمونا عليه، صار كل ما كتبه حجة عند الشيوخ الأندلسيين وأئمتهم.

عزل عبيدالله بن المهدي عن مصر

في الثالث من رمضان عام 181هـ عزل الخليفة هارون الرشيد أخاه لأبيه عبيدالله بن المهدي بن أبي جعفر المنصور عن ولاية مصر.

وكان الرشيد جمع له فيها، حينما ولاه، اضافة الى الامارة امامة الصلاة وخراج مصر: سنة 179هـ، خرج منها الى جهة الاسكندرية لما بلغه أن الروم قصدوا الاسكندرية، ثم عاد اليها حتى صرفه أخوه الرشيد عنها بعد ان تولاها عامين.

دخول جلال الدولة سلطان بني بويه بغداد

في اليوم الثالث من شهر رمضان عام 418هـ دخل أبوطاهر جلال الدولة بغداد، بعد أن خرج الخليفة القادر للقائه، وخلفه واستوثق منه، وبذلك استقر جلال الدولة في بغداد، بعد الاستيلاء عليها واقامة الخطبة لنفسه.

استشهاد قائد تشادي فذ

في3 من رمضان 1307هـ الموافق 22 من ابريل 1890: استشهد القائد المسلم الأمير «رابح بن الزبير» الذي أقام مملكة اسلامية في منطقة «تشاد»، كانت عاصمتها مدينة «ديكوا» بعد قيام الفرنسيين بغزو مملكته والدخول الى العاصمة «ديكوا».